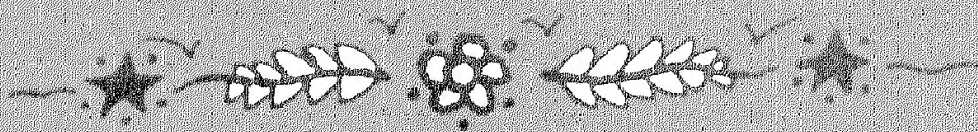
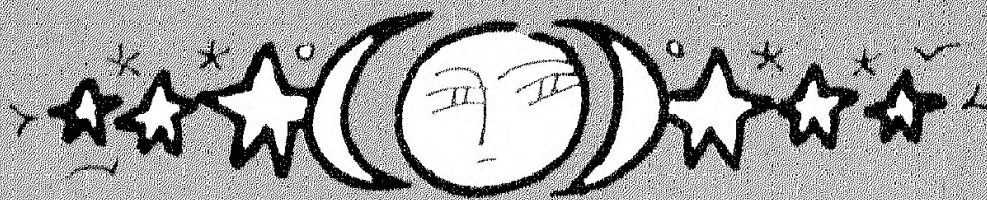


محمد الفيتوري



قوس الليل

قوس النهار



دار الشروق

قوسُ الليّاح  
قوسُ النهار

الطبعة الأولى  
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع حواد حسي - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٧٩٣٣٣  
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ ( ٠٢ ) تليكس SHOROK UN ٧٦091  
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣  
فاكس : ٨١٧٥٥٥ - تليكس : SHOROK 20175 LF

محمد الفيتوري

# قوس الليل قوس النهار

دار الشروق

## الإهداء إلى R - A

. . ولقد آثرت أن لا أبوح بأسمها . .  
ذلك لأنها تعينني وحدي  
وإذا لم أستطع التطلع إليها في شيء من قصائدي ، فذلك لأنها  
تتواجد في مكان ما من كتاباتي ( ١٩٩٣ ) .  
إن R - A هي ذاتها قوس الليل . وقوس النهار .  
فإلى تلك الصنوبرة الأطلسية التي أنحنت بأغصانها فوقى ، بعض .  
ما اشعلت في روحى من أحاسيس الغضب والفرح ، والجمال  
والعاطفة ، والقلق والانبهار .

محمد الفيتورى

## إشارات

« . . وها أنذا دائب الدوران حول الشمس . .  
فما أعجبها . .

ولا سبب لهذا سوى جلال الشمس »  
جلال الدين الرومي

ولا تلم السكران في حال وجدته  
فقد رفع التكليف في سكرنا عنا  
عبد السلام الأسمر الفيتوري

يشبه الشاعر أمير الغيوم  
الذي يطارد العاصفة . .  
ويهزأ من زامي النبال  
شارل بودلير

تحديث الكلاسيكية  
أو  
تطعيم المرمز بالأبنوس

بقلم الدكتور  
محيى الدين صبحى

## مقدمة

قارئ هذا الديوان سوف يعاني تجربة شعرية فريدة لأنه سيمر بتجربة الحداثة الشعرية من خلال نسج كلاسي قل لمتانته مثيل في شعرنا المعاصر. وحين يبلغ شاعر عربي أن يقدم الحداثة كما يعرفها الشعر العالمي ، أي أن يسمح الشاعر للتجربة أن تسيطر عليه وتصوغ حساسيته ، في قالب من السبك الذي يجعل اللغة تتجلى بإيقاعاتها وتغير مدلولاتها وتبقى متماسكة مترابطة - فإن مثل هذا الشعر يرتفع بشعر أمتة إلى ذرى من الأصالة تضطربنا لإعادة النظر في شعر المرحلة ومفاهيمنا عن الشعر بعامة . فالحداثة تعتمد على وعي نقدي بالإجراء الشعري من جهة ، وبالتجربة العامة من جهة أخرى ؛ كما أنها تقوم على الموضوعية في الأداء بحيث تبرز التجربة وتتوارى ذات الشاعر حتى كأننا نسمع التجربة ذاتها تتحدث عن نفسها بلسانها . وفي هذا السديم تلغي



المقولات بعضها بعضاً فنبقى في فضاء الشعور الصافي الذي يكاد - لشدة امتلائه بالمضمونات المتناقضة - أن يبقى شعوراً بدون مضمون :

جيلٌ رمادى الخطايا  
يتهاوى كفراش الضوء  
في مرآة جيل  
وأوجه من زئبق  
تكاد في مدارها القطبي أن تسيل  
وكبرياء أمة  
فكث عقود شعرها  
في مشهد ذليل  
وأنت ياسيدتى المنقوشة اليدين  
بالأسطورة  
المملوءة العينين بالعويل  
لك الله ولى . .

وشعر الفيتورى بوجه عام . لا يفهم إلا بمعرفة خلفيته التاريخية .  
لكن نمط وجود الحادث التاريخي . يختفى وراء ظواهر كونية يؤديها  
الشعر بنوع من العرافة :

رُبَّما لم تزل تلکم الأرض

تسكن صورتها الفلكية  
لكن شيئاً على سطحها قد تكسر

هذا هو صوت العراف الرائي الذي ينطق بلسان الوعي الكوني . غير  
أن هذا الوعي المرتبط بحركات الأفلاك وزلازل الأرض سرعان ما يتجه إلى  
الإنسان :

غير أنك تجهل أنك  
شاهد عصر عتيق  
وأن نيازك من بشر تتحدّى السماء  
وأن مدار النجوم تغير !

وهنا تقترن العرافة بمناجاة الذات ، ويغدو الوعي الكوني برزخا بين  
المعجزة الغيبية والتاريخ الذي يصنعه البشر ، فنظفر بهذا التعبير  
الشعري العجيب « نيازك من بشر » . البشر الذين يصنعون التاريخ  
يغيرون الطبيعة . أو أن تغير التاريخ في مثل معجزة تغير الطبيعة .  
وهذا هو ما أراد أن يقوله الشاعر . .

ليس ثمة من عبق في المعابد  
تلك السقوف المُشعَّة من ذهب سائل  
والتماثيل من حجر مرمرى

وأيدى المصلين مصلوبة

والتراتيل دائرة من بكاء

إننا هنا نتبين شكل القصيدة من طريقة نظم الكلمات فيها ، وهو نظم قائم على اقتصاد شحيح بها ، فكأن الشاعر وهو يُحدّق في الحرث التاريخي مشدوهاً بمغزاه ، أخذته الدهشة ، فأرتج عليه ، وغابت عنه الكلمات . إنه هنا يحاصر اللغة ، ويضيق عليها الخناق ، حتى تؤثي كل ما لديها . وهكذا تتجدّد اللغة ، مثلما تتجدد الحياة .

دون أن تصهل الريح جامحة

أو تسيل عيون المزاريب

مرت وجوه الضغينة بالأمس

جيشا يعانق صلبانه . . ومضى

دائماً . . دائماً

إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة

تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزلية

شكل جديد في أساليب الاكتشاف الشعري حيث يجرى توليد الجديد من القديم ، وبقائهما معاً متجاورين ! أو لا يتشابه ذلك مع الواقع العربي حيث يبقى القديم العفن ، ومع ذلك ينبثق منه واقع

متمرد جديد ؟ أو لا تتوالد مشاهد التاريخ الواقعي ، من واقع أسطوري  
يكاد لا يُصَدَّق !!

ذات يوم تحجّرت الشمس في . .

وكان أعترافي . .

قالت معذبة الصوت :

« أن السماوات ما عدن زرقاء

والصحو يتلع الحلم

والجوع يبسط تحت جناحيه

مائدة الخبز والفقراء ا

إنه ليس أبدًا كالآخرين . . إنه - وبحق نسيج وحده - يكتب مؤمنا  
بقدره الكلمة على نسف الواقع ، وإحلال غيره واستحضار البديل بقوة  
الرؤيا ونفاذ البصيرة وسمو المثل العليا التي يرقى إليها التعبير . إن محمد  
الفيتوري من بين كبار شعرائنا المعاصرين البارزين الذين حاولوا زحزحة  
هذه الصخرة ونطحوها بقرنهم وقفزوا في وجه الغول لينزعوا أنيابه . فعل  
ذلك مذ كان يافعًا في الأزهر ، وعاشقًا لأفريقيا ، وحانيًا على أشلاء هذه  
الأمة يرمم عظامها ويعطيها من دمه لتعود . . وقد عاصر تطور الشعر  
المعاصر منذ الإصلاح العروضي في فرط البيت واستعمال التفعيلة إلى أن  
صار لغزًا لا يفهم لاختلاط الرؤى على البصائر الكلية . فكان دائمًا من

الفحول في مقدمتهم ومن الحداثيين على مسافة تباعده عنهم ليسبقهم في إدخال الحداثة على الكلاسيكية العربية وتوسيعها كي تستوعب رؤيا الشعر الذي تقطر وتجوهر حتى غدا شعراً للمستقبل . فهو يعيش صيرورة القيم في مسرى الحضارة حيث يكون الشاعر ، بحكم موقعه الإيديولوجي ، عنصراً فاعلاً في الصيرورة لأنه يعاني الشد الذي يتنازعه بين الواقع المتردي والانخطاف إلى عالم المثل .

محيي الدين صبحي

بيروت 1994

لوجهك ياسىدى!

في مدينة قلبى الغريبة  
حيث يفوح غطيظُ الغرائقي  
في بَهْوِها الملكيِّ الحنونُ  
جثوثٌ وحيداً على ركبتى  
وبى قمرٌ غارقٌ في دمي  
لا تراه العيونُ

وحيداً أصليّ

وكان على الماء نافذةٌ أشعلتها يدَاكَ  
وآلهةٌ من جمالك هائمةٌ في سكونُ

لوجهك يا سيّد القلب  
ما سال من ذهب العمر مختلطًا بالرمال  
وما نقشتهُ الرياحُ القديمةُ  
من صُورٍ في الجبال

\* \* \*

لوجهك يا سيد الكون  
تغدو حقولُ النجوم بحارًا من الضوء  
هادرةً في دُجى مطبقٍ من هيلوك  
محرقةً بصواعق سيفك



أزمنة الموتِ والظلماتِ  
وفي نهر وجهك تسبحُ روحانِ  
زنبقةٌ سكبتُ عطرها  
في صلاة الصبحِ لديك  
ونورسةٌ أبصرتك مع الفجر  
فأستغرقتُ فيك مأخوذةً الكلمات

\* \* \*

بلى . . ولأنك ياسيد الذات  
تُشبه ذاتك في ملكوت صفاتك

في كل حال

خلعتُ تاجَها الشمسُ عند الظهيرة  
وأحتجبت في سرادقِها الشفقُ  
لتملاً ثانية كأسَها من رحيقِ الجمالِ

\* \* \*

سيّدى . .

ولوجهك راقصتُ أقنعتى عارياً  
وتسلّقتُ أغصانَ موتى  
وأطرقت في ذروة الوصل أُصغى إليك

وأنت تكبّلني في دموعي وصمتي  
وتسكبنني في ترابي  
وتقسو فتملؤني من عذابي  
وترفعُ عني الغطاء  
تُراك قسوتَ لأذكر عمري  
الذي كان تحت السماء  
وصوتي المرصّع بالعشب والملح  
في زمن النور والأنبياء  
وحُرّيتي كيف كانت حياة

وكانت صباحًا . . وكانت مساءً  
وكيف أستحالت . .  
فلم يبق إلا رمادُ الحرائق والكبرياء  
وبعضُ من الشعر  
بعضُ من العشق  
أكتبه . . وأُغنيه وحدي  
غضبانَ متشحًا بالكآبة  
غصانَ مختنقًا بالبكاء !

## شيخات جبال الأطلس

حاملاتُ الدُّفوفِ الإلهيَّةِ  
النسوةُ الأطلسيَّاتُ  
يُولَدْنَ في حِجراتِ الأساطيرِ  
حيث يلامسهنَّ الجمالُ رويدًا  
وَيَأْخُذْنَ أَشْكالَهُنَّ  
حاملاتُ النقوشِ السماويةِ  
الصَّاعِداتُ كعطرِ المجامرِ  
صوبَ النجومِ بأصواتهنَّ  
يعانقنَ أيامهنَّ العتيقةَ في رقصةِ النارِ

يصنعن من ذهب النوم والسحر  
طقسًا عجيب التفاصيل  
يضفرن عرسًا من الصور الشاردات  
مزارًا من الموت والصلوات الغريبة  
حيث يُتَوَجَّهْنَ بهاءُ الدهول  
وَتَسْكُنُ أرواحهنَّ الشقيةُ  
في ضربات التعاريج (١)

---

(١) التعاريج جمع تعريجة ، وهي اسم لأداة عزف تقليدية ، مصنوعة من الفخار ، ومعروفة جدًا ، في أقاليم المغرب .

يشتعل الشفق المغربي المرصع بالذكريات  
وتكسر آلهة المسك إبريقها الذهبي  
ويكسو الشذى رعشات الحقول  
وتلتف عاصفة العصر حولي  
أنا الفجرى المسافر في دورة الأرض  
تلتف عاصفة العصر حولي  
يحاصرني موجهها المتدفق في قنوات العيون  
وأقبية المدن الهاربات من الضوء !

\* \* \*



ذات نهار رأيتك  
« قالت معذبةُ الصوت » :  
- كانت سقوفٌ نحاسيةٌ  
ومتأيلٌ خلف الغيوم  
تطل عليك . .  
وأنت تُجَدِّفُ باسم المسوخ  
التي أنتصبت في الزوايا  
وتذكر أزمنةً ومدائن تائهة  
في بخور التعاويذ . .

ثم حجبك عنى  
لكى لا ترانى في الزمن المستحيل  
« فرسٌ راکضٌ فى رماد الضحى  
يرقُّ مائلٌ فى غيوم الأصيل »

\* \* \*

ذات يوم تحجَّرتُ الشمس فى . .  
وكان أعترا فى . .

« قالت معذبةُ الصوت » :

أنَّ السماوات ما عدن زرقاء

والصحو يتسلع الحلم  
والجوع يبسط تحت جناحيه  
مائدة الخبز والفقراء  
وكان انخطافي

أن رداء الحياة ثقيل  
وأن الأقانيم خالدة ، والزوال احتمال  
وأن جمال البديل ، بديلُ الجمال

\* \* \*

ذات يوم ، تراءيتُ أغنيةً في خيالك

ثم أنحنيتُ حزينا على صورة الماء  
كيف أنحنيتُ على صورة الماء  
حتى تلاشيتُ عبر اكتمالك  
كيف أشتعلتُ . .  
وأبصرْتُني فيك أيقونةً  
وأنا أتقلب في دَهْشَتِي واكتشافي !

## تداعيات في زمن جورج غانم

إليه في ذكراه الأولى  
شاعراً وإنساناً بلا حدود..

كُنَّا مَعًا نَسْرِقُ أَسْرَارَ السَّمَاوَاتِ  
وَكُنَّا الْعَمْرُ بَسْتَانًا مِنَ الشَّعْرِ  
وَلِبْنَانُ مَرَايَا مِنْ رَسُومٍ وَصُورٍ  
كُنَّا إِذَا مَا أَشْتَعَلَتْ فِيْنَا الْأَسَاطِيرُ  
كَسَرْنَا جَرَّةَ الْخَمْرِ الْإِلَهِى  
وَزَحَفْنَا بِأَيْدِينَا قَنَادِيلَ الْمَطَرِ  
كُنَّا هُنَا يَا جُورْجَ ، يَوْمًا  
هَلْ تَرَى تَذَكُرُنَا السَّاعَةَ ؟  
أَمْ أَنْكَ مَا خُودُ بِإِيقَاعِ الْقَدَرِ !

كنا هنا . .  
لم نحتطب في غابة الماضي  
ولم ننفض رماد العصر  
لكننا تلكأنا على أرصفة الحزن قليلاً  
لم نكن نغرق في الدهشة  
لولا شفق ناءٍ بطيء  
ربما كان انعكاساتِ رؤى الموتى على الأحياء  
أو كان أنبياءاً زمنيّاً في جدار الوقت  
هل تسمعني في صمتك المثلث بالأزهار

إني قادمٌ بأسمك من أقصى مداراتي  
إني صارخٌ باسمك . .

في حيث يكون الشعر إصغاءً إلى التاريخ  
أو حيث يكون أسمك

تاجاً أرجوانياً على لبنان !

هل تبصرني ؟

إني هنا يا جورج . .

مكتوبٌ على عينيَّ أن أبقى سجيناً في معانيك  
وأن أبكي موتاً الكثرين ، ولا أبكيك



أن يصبغ لونُ الرمل أجفاني ، ولا أبكيك  
أن يرتطم الإعصار في دربي ، ولا أبكيك  
هل تغفر لي ؟  
أنى أصليّ لك في شعري ..  
ولا أرثيك ا  
أنى أنحنى ، شمعَة إيمانٍ  
لدى أهبّة الموت  
وأستثنيك  
يا صاحب أيامي ..

يستغرقني منك ذهولٌ عاصفٌ  
أمطارٌ قُدَّاسٌ سماويٌّ  
وجوهٌ من شموعٍ ، وقناديلُ رخامٍ  
وَحُطًى آلِهَةٍ مُخْتَالَةٍ تَمْشِي  
فأبكيك ، ولا أجزؤ أن أبكيك  
أعدو كاشِفَ الصدرِ  
وتعدو مركبات الموت من حولي  
فأدَاخَلَ في صمتي  
أبكيك ، ولا أبكيك

أرثيك ، ولا أرثيك  
بابٌ موصدٌ هذا الأسي الممتدُّ في رُوحِي  
باب حجريٌّ موصد  
أوديةٌ وحشيَّةٌ العشب  
وشمس رثَّةٌ  
وأنت ماضٍ بانفعالاتك . .  
مَكْسُوءٌ بأحزانك يا جورج  
إلى أين ؟  
تريثُ لم يزل لبنان لبنان

يذوب الثلج في ناعورة الوادى  
ويصحو الجبلُ العالى ، ويعلو نجم لبنان  
فلا تعجل . .

ولكنك تمضى يا حبيبى مسرعاً  
تملاً هذى الأرض ، شعرا ومزامير  
وتمضى قلقاً وموجعا  
وأنت في نأيك . . لم تزل هنا . .  
ولم تزل هناك . .

أرزة تغسل رجليها بماء النهر

أو عصفورة تنقر وجه الريح  
أو ساريةً من لهبٍ تخرق الضباب

\* \* \*

أبكيك ، ولا أبكيك  
أرثيك ، ولا أرثيك  
فالموتى ينامون على أكفانهم  
وأنت حي بيننا  
وليس موتاً أبداً هذا الغياب !

الرباط - بيروت 1993

## صورة السماء ..

( إلى الفنان عبد الله غيث )

— 1 —

حَدَّقَ فِي الْمَشْهَدِ كَالْبَغُوتِ . .  
كَانَتْ تَتَدَلَّى الشَّمْسُ مِثْلَ طَائِرٍ أَسْوَدَ  
مَصْبُوعٍ الْجَنَاحِينَ . .  
وَمَصْلُوبٍ عَلَى أَعْمَدَةِ الْفَضَاءِ

— 2 —

أَغْرَقَ فِي الْمَشْهَدِ  
كَانَتْ عَرَبَاتُ الْغَجَرِ الرَّحْلِ تَنْسَابُ مَعَ الْأَشْبَاحِ

في الفجر الضبابي  
وكانت زهرةُ التاريخ في معطفِها القاني  
ورملاً في الينابيع . .  
وعشبٌ في صخور الجبل الجرداء

— 3 —

غاب عن المشهد . .  
عادةً تضاهى صورةُ السماء صورةَ السماء



— 4 —

كان إذا الظلمةُ قصَّتْ شِعْرَها المائلَ  
فوق الماء

يُشْعِلُ ذاته  
ويطلقُ أسمه على غرائب الأشياء !

الرباط 1993

**بالحب أو بالرحيل !**

ثلاثُ نجمَاتٍ بِلا طَقْسٍ إِلَّا هِيَّ  
ثلاثُ صور تغرق في روزنامة الماضي  
عروشٌ من نحاس  
وتمائيلٌ على الرمل  
وأشباحٌ تسيل في الهواء  
ها هوذا منتصفُ الدائرة القطبيِّ  
تلك الكرة الضخمة ، لن تقوى على احتمالنا  
فاحمل فضاء مفعماً بالحب في صدرك  
أو فأرحلْ

تقول امرأةٌ في الظل  
- كان الله يومًا ، صورة تطبع هذا الكون -  
ثم أتزاحت الصورةُ  
وأستبدلها الإنسان بالأقنعة الأخرى  
يقول الرجل الشاردُ في الأيام  
- ليس القهر ، حيث أتسعت خطوته  
إلا أمتداد القهر  
والأرضُ التي تبتلعُ النعمة  
بركانٌ من الأبخرة الرطبة

والأصباغ ، والملح  
فهل أدركت القوة  
معنى أن يكون الظلم تاريخاً  
وأن تركض رُوح الحق كالمجنون  
في أبهاء هذا العصر !

الرباط 1993

غيوم المدن الصفراء

تحت هجيرٍ فاقع الألوان  
عشنا عصرنا - نحن مرايا العصر -  
عشناه خطاةً ومُرائينَ ، ومضطربين  
حتى اُختلطت أواجه فينا  
وغطّتنا غيومُ المدن الصفراء  
هل كنا سُقوفاً من زجاجٍ زحرفتُها الشمسُ  
هل كنا انهياراتٍ بروقٍ ، في كهوف الليل ؟  
أم صقوراً ، نفضت ذات شتاء ريشها الوحشى  
مَنْ كانَ هُنا قَبْلاً ، وأصغى ، ورأى ؟

مَنْ جَاءَ حَيْثُ لَمْ نَجِءْ قَطَّ  
وَمَنْ أَرْخَى سَتَائِرَ الشَّمُوعِ خَلْفَهُ  
وَأَنْطَفَأَ

مَنْ شَقَّ فِي قَلْبِ الْفَضَاءِ فَجْوَةً  
ثُمَّ مَشَى دَاخِلَهَا وَأَخْتَبَأَ  
وَمَنْ تَدَنَّى وَدَنَا  
وَمَنْ تَنَاءَى وَنَأَى !



لحظة يا سحاب الجمال

كيف باغتك الوقت ياذهب الوقت ؟  
حتى كأنك لم تسق رُوحَيْن  
من شهوة في الخيال  
تريث ، ولا تنهمك في الغياب  
إنكسر شفقاً سائلاً في أوانى السماء  
أتحذ من نواظرنا شُرْفَةً رجة للغناء  
نحن أسرى بهاء انكسارك  
فامتد عبر انكسارك  
عاصفة من طيور البحار الشريدة  
أو رجع قيثارة في انحدار المساء

انسكب في جوانحننا . .  
سَوْفَ تمطر فيك الغيوم  
التي لم تُعدْ فوقنا  
وأشتعل في أناملنا  
سوف تُومض فيك الشُّمُوعُ  
التي انطفأت بعدنا  
لحظةً يا سحاب الجبال  
لا تُعَجِّلْ بِنَا  
نحن سكرى ، ورقصتنا لا تزال !

1993

من شرفة باريزية

منذ سنين مررت من هنا  
وقفت طويلاً ، تحت هذه السماء  
هل تراها باريس أخرى !  
لم تعد الأشياء هي الأشياء  
تغير كل شيء . . لم يتغير شيء  
هي التي تغيرت . .  
أنا الذي تغيرت . .

لم يزل راسين وكورني . . فيكتور هوجو  
وجورج صاند . . شارل بودلير وجان كوكتو . .  
بيكاسو العصبي وجوجان . . سارتر و سيمون . .

كلُّ فوق مقعده الحجريُّ  
في حديقة المدينة الخالدة  
التي صنعت يوماً ما ، تاريخ هذا العالم  
تَلَفْتُ حوالياً . . بلى تَلَفْتُ حوالياً . .  
إن السيدة الجميلة ، العريقة التي  
كانت عشيقتك ، ذات صباح ، ذات مساء  
لم تزل تحمل عبقتها ونضارتها ، وهي تطل عليك الآن  
مسترخيةً ، وبازخةً ، ووديدة  
مليكة أسطورية تتألق في شرفة باريس  
أنت الآن هنا . .

والآخرون هناك  
أنت الآن أعمق سكينه  
ولكنك أشد اشتعالا . .  
أقل جنونا ، ولكنك أكثر طمأنينة  
ليت لنا ، نحن الذين نمضغ ليل نهار  
في بلادنا ، كلمات الحرية والديموقراطية ، وحقوق الإنسان  
ليت لنا ، بعض مالنا هنا  
في وطن الغربه ، باريس !

باريس 1993

**كتابات قديمة !**



يَسْهَرُ الْمَوْتَى الَّذِينَ اغْتَسَلُوا

في مطر الشمس . .

وموتاك نِيَامَ

قطفوا زهرتهم في الزَّمنِ الماضي

أستراحوا . .

وتغطَّوا في خطاياهم بأعشاب الظلام

ثم ماذا جنت الأوطانُ من أيامهم . .

إِلا حطامٌ ، في حطام ، في حطام !

## تقاسيم على المتدارك

.

نَادِرًا مَا تَفُوحُ زُهُورُ الْخَطَايَا  
نَادِرًا مَا تَبُوحُ الشِّفَاهُ بِأَسْرَارِهَا الْمَخْلُوعَةُ  
نَادِرًا مَا تُقَلِّبُ أَشْكَالَهَا

صُورُ الْمَوْتِ فِي الْكَائِنَاتِ  
نَادِرًا مَا تُخَبِّئُ قِيَارُهُ صُوتَهَا فِي الرَّمَالِ  
نَادِرًا مَا تَكُونُ الْقَنَادِيلُ أَعْمِدَةً لِلْغِيَابِ  
نَادِرًا مَا تَمُوتُ الْعَصَافِيرُ

فَوْقَ رُفُوفِ الْغَيْوَمِ  
نَادِرًا مَا تَسِيلُ الْحُرُوفُ

نادرًا ما تشع الكآبة في ضحكات الوجوه  
نادرًا ما تنام الإرادة في رحم الكبرياء  
بانتظار اشتعال السماء !

الرباط 1993

## زهر الكلمات !

لم أجِدْ غير نافذةٍ في سِرائِكَ  
مبتلةٍ بدموعى  
فألصقتُ عينيَّ فوق الزجاجِ  
لعلّ أراك  
لعلك تبصرنى ، وأنا هائمٌ  
مثل سربٍ من الطير ، منهمكٍ في مداك  
لماذا تلّوْحُ لي من بعيد  
وتتركنى مغلق الشفتين  
وتدخل في غايَةٍ من سناك

لماذا تغيب ؟  
كأنك لم تدري أنني زرعتك في جسدي  
فأزدهرت نقوشاً  
وأنى نثرتك في أفقى  
فأشتعلت شموعاً  
وأنى رسمتك أوديةً ، ومدائن مسحورةً  
وتشكلتُ مثلك في زرقة الكائنات  
وما زلتُ أولدُ في زهر الكلمات !

1993

المقفر ذاقه



والآن تسألني !  
وقد غطى أسمك التاريخ  
بالورق المذهب  
والأكاليل الحزينة  
وأحتفالات الرتبة  
كيف تبصرني ؟  
وكيف سيقراً الآتون ذكرى  
في السنين التالية  
وأقول يامولاي :

إنك فوق ما أدرى  
وأكبر من خيالاتي  
وإن ألك قد عرفتُ  
فأنت أعدل من عرفتُ  
وأنت سيدهم وإن كثروا  
وأوشك أن أُشيد بذكر عصرك  
غير أنك أيها البشر المقدس  
ذو التفرد والمهابة . .  
في الحقيقة طاغية !

## تداخلات

أَصْغَيْتُ . .  
كان الرملُ في طاحونةِ البحر  
وكان الصيفُ في غنائه المضطربِ الخجولُ  
وَقُبَّعَاتُ الورقِ الأصفر  
يستغرقها تآكلُ الفصول  
وقلت : يالللحزن ضاع العمر . .  
قالت : إنها الأيام  
قلت : الشعر  
قالت : خيمة الأحلام

قلت : الحُبُّ  
قالت : ذَهَبَ العاشِقُ في المعشوق  
والمخلوقُ في الخالق  
.. ثم أنهمرتُ مصغيةً ..  
واختلط السائل بالمسئول  
- ماذا قالت النجمة للنوتة  
والطينة للشمس  
وهل أوشكت الكاهنةُ العمياء أن تقول ؟ !

## بين النقيضين

بلى . . وتمشى بغلة الصوفي فوق الموج  
إن شاء . .  
ولا تبتل بالماء  
ولولا سره في الكون  
لأمتد سحاب قرمزي هائل  
بين المجرات  
فلم تبصر عيون البشر الفانين  
إلا عتمة الأشياء  
يابغلة شيخي . .

الحبُّ لا يسطع إلا في مرايا الحب  
والخارج بأسم الله ، مشدودٌ على آخره  
بين النقيضين  
وصوت الحق أجراسٌ تدق الآن  
في أحشاء هذه الأرض  
والنار حُوارٌ العدل والقوة  
والعدل بلا عينين !



قداس أفريقي لروح الشيطان

نَجْمَةٌ مِنْ دَمٍ  
أَشْعَلْتُ ذَاتَ لَيْلٍ رَمَادَ يَدَيْهِ  
فَأَقْعَى حَزِينًا ، عَلَى بَابِ خِيَمَتِهِ  
وَأَسْتَحَالَ إِلَى مُحْرَقِهِ  
عَرَفْتَهُ السَّمَوَاتُ ذَاتَ الْعَيُونِ  
الْمُغْطَاةِ بِالثَّلْجِ  
وَالْأَرْضُ حَارِسَةُ الْمَوْتِ وَالْعَتَمَةُ الْمَطْلُوقَةُ  
عَرَفْتَهُ سَقُوفُ الْخُرَافَاتِ  
وَالصَّلَوَاتُ الْكَثِيرَةُ

والصور المرهقة  
صنعوه كما صنعوا غيره  
هدموه ، وبينونه في غد  
ربما أستنسخوا مثله  
ربما أستنسخوه . .  
ولكنهم الآن ، في حفل قداسهم  
ينحتون له خشب المشنقة

1993

لا شيء يا مرج الزهور

لا شيء

إلا مركبات الثلج فوق الثلج جانحة  
وأقمار الفيافي المعتمات تموج  
في ذهب المتاحف والمصاحف  
والشواهد والقبور

لا شيء

إلا برق أمواج المجرات المجنحة  
التي عبرت ، وتعبر مرة أخرى  
وتعتاد احتمالات التلكؤ والعبور

هى نفس أزمنة التهاويل التى هجرت متاحفها  
الفضاءات التى أُتَشَحَّتْ بأمطار العصور  
نفس البيارقِ والبنادقِ  
والحرائِقِ والمشانقِ  
والمزالقِ ، والصخورُ  
لا شىء ياموج الزهور  
ما دام سيف القهر فوق إرادة الإنسان  
سوف تظل روح العدل هائمةً  
تسابق ظلها الثلجى

والتاريخُ أوراقٌ مزوقة  
على الحيطان  
والدنيا تدور ولا تدور !

1993

## الكرنفال



يا لهذى المدينة ..  
مأخوذةً بانهمياراتها وهى تحلم بالمستحيل  
يا لهذى المدينة ..  
مزهوةٌ ، مثل أغصان كافورة  
تتزين في كرنفال الرحيل  
يا لهذى المدينة ..  
قلت لنفسى :

إنى تناثرت فوق حوائطها ذات يوم  
وتسكننى الريح ملء طواحينها ذات يوم

وأمضى . .

ويبقى العذاب ورائي  
ويأتي الذين سيأتون من بعد  
هذي المدينة من جسدي  
فهى أزهار صيفى الحزين الجميل  
وعشب شتائى

وكنت إذا ما استدرت ، فلم ألق  
غير نعوش النبين فوق يديها  
تقوعتُ في كبريائى

وأطفأت شمعى ، منكفئاً  
في مدارى الطويل  
بعض هذى المدينة موتي  
وبعض الدم المتجمد في شفتيها غنائى !

1993

قمر الغناء!

مَطَرٌ أَخْضَرٌ ، و عيون مرصعةٌ بالرؤى والأساطير  
كانت تحاصرني الذكرياتُ  
وباريسُ سابحةٌ في الفضاء السماوى  
باريسُ تبنى كنائسها الذهبيةَ  
فوق جسومٍ مخنطةٍ في التوايت  
باريسُ ليست مدينة . .  
وتطلعت في البشر العابرين  
كأن سحاباً من الصور المشمسات  
يذكرنى بترابٍ بلادى

ويلقى حرائقه في جروحي  
كأنك أنت التي أشتعلت نجمة  
ثم غابت مع الوهج المتدفق  
أو موجة الكلمات التي انفرطت  
فجأة في دموعي  
أواه ، لو كان لي لجعلتك في غريتي  
قمرًا للغناء

يارفيقة روى  
فباريس من دون وجهك أرض حزينة  
وباريس ليست مدينة !

## مونولوج داخلي

تظُلُّ بين الحلم واليقظة  
بين الموت والدهشة  
بين الصمت والبكاء  
تبحث عن عاصفة في الغيب  
أو معجزة في الرمل  
أو أجنحة في الماء  
يكبر من يكبر في ظلك  
أو يصغر من يصغر  
أو تعتم تلك الشمس أو تضاء



وضحكةٌ صمغِيَّةٌ صفراءُ  
فوق ضحكة صمغية صفراء  
وَسَنَةٌ عرجاءُ أثرِ سَنَةٍ عرجاءِ  
والأَرْضُ في محورها كالأمس  
تجْرى ، أو تدورُ ، أو تغوصُ في الهواء  
إلى متى ؟ إلى متى ؟  
وأنت هكذا ، بلا بدء ، ولا انتهاء !

**الرجل الذى خانوه !**

لَمْ يَقُلْ شَيْئًا  
مضى يهدر كالشلال في أودية الموت الرُّخَامِيَّةِ  
غضبانَ جَحِيمِي المعاناةِ ، شريدًا ، وطريدًا  
لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . .

بلى . . أنشأت على خاطره  
ساعةَ خائتتهُ الخياناتُ التي تفتش العصر  
وساقتَه إلى الماضي شهيدًا  
أنه باقٍ . . وهم موتى  
وَإِنْ طالت على الأرض لحاهم

ولهذا لم يقل شيئاً  
بلى ، قال :  
سأحتاج إلى مقصلةٍ سوداء  
كى أقطع رأس الشمس  
هل تسمعنِ الأفعى التى تركض  
في صندوقها العاجي  
هل تسمعنِ الصحراء  
من عيني هذا الوهج الساطع  
في أيامها الرئية

إنَّ أسمى محفور على أبوابها الكثرى  
وصوتى دقة الناقوس ، فوق المدن الميئة  
وَأَنْشَقَّ ستار الحجر الأسود  
فأنسابت أغانيه بعيدًا  
لم يقل شيئًا !

تونس 1993

**مرآة على النفق !**

جِيلُ رَمَادِيٍّ الْخَطَايَا  
يَتَهَاوِي كَفَرَاشِ الضُّوءِ  
فِي مِرَاةِ جِيلٍ . . !  
وَأُوجُهُ مِنْ زُبُقٍ تَكَادُ فِي مَدَارِهَا الْقُطْبِي  
أَنْ تَسِيلَ  
وَكِبْرِيَاءُ أُمَّةٍ . .  
فَكَّتْ عَقُودَ شَعْرِهَا فِي مَشْهَدٍ ذَلِيلٍ  
وَأُخْرِيَّاتُ شَفَقٍ نَاءٍ، وَمَاضٍ مُسْتَحِيلٍ  
وَأَنْتِ يَا سَيِّدَتِي الْمَنْقُوشَةُ الْيَدَيْنِ  
بِالْأَسْطُورَةِ

المسكونة العينين بالعويل  
وحدك ، لا أشعةٌ تخرق الأحجبة الكبرى  
ولا أجنحةٌ تهتك أسرار المجرات  
لك الله ، ولى . .  
كيف ستجتازين في هيئتك الرثة  
بَوَابِ هذا النفق الطويل !



## مولد أغنية

في الرصيف المقابل  
كان الغريب يمرُّ بطيئاً ومشتعلاً  
كان يخلط ألوانه ، ثم يبصقها كارهاً  
في عيون المدينة  
ياوطناً حاصرته هزائمه  
ما الذي يصنع الشعر  
قل لي وحقق يا وطني  
ما الذي يصنع الشعر ؟  
والموج يرقد في الرمل ، والريح مثقلة بالرماد

مَنْ ترانا نكون ؟ ومن أى عصرٍ أتينا ؟  
وفى أىِّ عصرٍ نعيش ؟  
وهل نحن بالفعل أبناءُ آبائنا ؟  
مَنْ يُضَيِّعُ معابدنا ، حين نمضى غداً ؟  
وأراجيحُ أطفالنا ؟  
هل ستحملها الريح ؟  
في طول أو عرض هذى البلاد

\* \* \*

فى الرصيف المقابل

كانت مياه الينابيع تحلم  
والشمس تضحك في سرها  
والأغاني الجميلة تشرق  
في غسق الاضطهاد !

1993

**ايرما الطفلة والجنرالات !**

— 1 —

فرسان الرايات الصفراء  
المسكونون بصوتِ الريح  
يُدقُّون الأجراس  
ويحتفلون بعيد النصر ، على إيما المسكينة

— 2 —

كانت إيما شتلة ورد في شرفاتِ البوسنة  
تسبح في غسل السنوات الخمس  
وتَغفُّ ساذجة العينين ، ملونة الأحلام ،

وذاآ ضياءِ

ذاآ ظلامْ

آاء الجنرالآآ طواويس الدول العظمى المنهارة

وأأغالوا إيرما ، واأأالوا فوق عظام مدينتها

— 3 —

هل آقا عاد الماضى

يصرآ فى روح الآاريخ ؟

وهل صنعآ إيرما المسكينة مجد الجنرالآآ ؟

الرباط 1993

## الصورة الأخرى للشاعر

مهداه إلى محي الدين فارس الشاعر ..  
في تراجيديا الواقع الإنساني ..



تتوارى الأوجهُ في غاباتِ الأوجهِ  
والأشياء تهاجر في سَفَرِ الأشياءِ  
وَهُمُّوا في إثرك ، مثل مياه الوقت المعتم  
ينحدرون على حطب التاريخ  
ويغتالونك بالكلمات  
كأنك أنت الواقف وحدك  
تحت سقوف السيرك  
تراقب كيف تموج قرود السيرك  
وكيف تُفَصِّلُ شمس الليل ، معاطف من ذهب  
وعرائس من ورق ، وكواكب من كلمات

وكانك أنت الشاهد وحدك  
أنت سليل الآلهة ، المدموغُ على كتفيه ،  
العاصفُ ملء جنون اللعنة  
أنت المغمض عينية ، المغرورقتين  
على موسيقى الضوء ، وإيقاع الأصداء

\* \* \*

وكانك أنت . . وأنت الشاعر  
في السنوات الصعبة . .  
محض حنين . . محض تقاطر ماء !

تجاعيد هذا المساء

ليس ثَمَّةَ مِنْ وَهَجٍ فِي ضَفَائِرِهَا  
أَحْتَجَبَتْ رُوحَهَا ، وَأَسْتَدَارَتْ بِيَارِقُهَا  
فَالْغَيُومَ حَرَائِقُ آلِهَةِ  
وَالْفَضَاءَاتُ مَجْرَى هَوَاءِ  
أَيُّهَا الْعَاشِقُ ، أَسْكَبْ دُمُوعَكَ فِي كَبْرِيَاءِ  
وَأَخْتَبِئْ فِي مَعَانِيكَ ، أَنَّى تَشَاءُ

\* \* \*

ليس ثَمَّةَ مِنْ عَبَقٍ فِي الْمَعَابِدِ  
تِلْكَ السَّقُوفُ الْمَشْعَّةُ مِنْ ذَهَبٍ سَائِلِ

والتماثيل من حجرٍ مرمرٍ  
وأيدى المصلين مصلوبةً  
والتراتيل دائرةٌ من بكاء

\* \* \*

ليس ثمة من حلم في تجاعيد هذا المساء  
أنتم اثنان : عصرٌ وعاصفةٌ  
فلماذا تقلَّب وجهك في أوجه الناس  
يأسًا من الأرض ؟  
أو خشيةً من سقوط السماء !

1993

رتوش على  
لوحة صومالية

مقديشو التي لبست دمهها . .  
مقديشو الوجوه الحزينة . .  
لن تكون ، ولم تك من قبل  
أول مركبة في الجحيم  
وآخر أُرْجُوجَةٍ في المطر  
مقديشو التي شربت كأسها  
مقديشو الرياح السَّجِينَةُ  
أزهرت بذرة الموت في أرضها  
والتوى الجوع والقهر حول جذوع الشجر

أُتْرَاهُ عَقُوقُ الْبَشَرِ  
أَمْ تُرَاهُ أُنتِقَامُ الْقَدَرِ  
مَقْدِيشُو عَلَى قَبْرِ تَارِيخِهَا . .  
أُمَّةٌ تَتَحَرُّ !

1993



## ترنيمه ليلة رأس السنة

مِثْلَمَا أَنْتَ فِي الرُّوحِ  
حَيْرَانٌ مِنْكَسَّرٌ ، شَاخِبُ الْوَجْهِ  
تَحْتَ ضِيَاءِ الشَّمْعِ  
لَكَأَنَّكَ لَمْ تَأْتِ مِنْ قَبْلِ  
فِي مَنْ تَجَسَّدَتْ فِيهِمْ  
كَأَنَّكَ لَمَّا تَجِيءُ بَعْدَ يَاسِيدِي يَاسُوعِ  
جَعَلُوكَ كَنَائِسَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقَدَادِيسَ وَحْشِيَّةً  
وَبَنَوْا فِي ظِلَالِ الْعِشَاءِ السَّامَوِي  
حَائِطَ أَحْقَادِهِمْ

وَتَغَالَوْا فَأُضْحَى صَعُودُكَ سَقَطَ إِيمَانُهُمْ  
وَأُرتَعَشَات وَجَدُكَ ، رَقِصَةُ رَعْبٍ وَجُوعٍ  
وَنَسُوكَ ، فَأَيَّةُ أُغْنِيَةٍ يَوْمَ عِيدِكَ  
أَيُّ الْقَرَابِينَ مُتَّصِلٌ بِكَ ؟  
وَالْأَرْضُ حَوْلَكَ ، سَوَاطٍ وَمَقْصَلَةٌ  
وَالسَّمَاوَاتُ ، كُلُّ السَّمَاوَاتِ . .  
مَكْسُوءَةٌ بِالدَّمْعِ !!

1993

## صورة الماضي

وَتُنْكِرِيَنِّي  
كَأَنَّ الزَّمَنَ الثَّلْجِيَّ لَمْ يَلْبَسْ رِداءَ الْبَرْقِ  
وَالْأَرْضَ الَّتِي عَانَقَتْ التَّارِيخَ لَا تَزَالُ  
عَجِينَةً مَنْسِيَةً فِي الْكَوْنِ  
وَالْكَلِمَةَ لَمْ تَخْضَرْ فِي أَوْدِيَةِ الْخِيَالِ  
وَالصَّمْتَ فِي أُرْتِعَاشَةِ الْجَمَالِ  
كَأَنَّا - يَا حِلْمَ الصُّحُوفِ وَالْاِكْتِهَالِ -  
جِئْنَا عَلَى صُورَةِ مَاضِينَا  
نَبْكِيهِ أَحْيَانًا وَيَبْكِينَا  
وَنَنْتَهِي فَوْقَ أَمَانِينَا

قوس الليل .. قوس النهار

شبيهة في صمتها الأخضر  
بالخيل التي تزهل في ذاكرة الماضي  
وبالنجم الذي يحرس أبواب الشتاء  
حاملة كأنها ترفل في طقس من البهاء  
ناعمة كطفلة عارية مكسوة بالماء  
هل تعرفين ثمننا للحب ياسيدتى  
قالت : وهل غير اكتماله بالحب؟  
- والإيمان؟

قالت : عبق في الروح

- والرغبة ؟ والقسوة ؟ والحنين ؟

والغسق الليلي ؟ والتآكل الحزين

قالت : وماذا بعد ؟

- في أيامنا ، وأنت في أيامنا

يسقطُ قوس الليل ، معكوسًا على قوس النهار

ونحن . . نحن البشر الفانين في هذا المدار

نجيء مغلوبي اليدين

نذهب مغلوبي اليدين

وقد نموت مطبقى الشفاة



عاجزين ..  
مثلما ترين .. !  
مثلما ترين !

الرباط 1993

**بعض الناس!**

النار تطبع وجهها القزحي  
في موج الستائر والقباب البيض  
هل تصغى إلى اللغة التي نطقت بها الثيران . .  
أيّة لعنة تجتاح هذا الجيل ؟!  
- لن يصغى الرماد لغير فأس الريح  
- سرّ عذاب هذا الجيل ، في أكفان جلاديه  
- كيف نسيت أنك شاعر والقوم موتى  
ومضيت تنحت تلكم الأوثان في شفئك نحتا  
وكأنّ من شربوا دما ، وتقيأوه دمًا ، ومقتا

ينسون أنك أنت بعض الناس  
والطغيان أعلى منك صوتًا  
يالافتضح السر ، كيف نسيت أن المخطئين من الرجال . .  
هم الرجال المخطئون :  
الجالسون على حطام عروشهم . .  
وأنا وأنت !

## شعراء وسلاطين

دون أن تَصْهَلَ الرِّيحُ جاححةً  
أو تسيل عيون المزاريب  
مرت وجوه الضغينة بالأمس  
جيشاً يعانق صلبانه . . ومضى  
دائماً . . إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة  
تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزليّة  
ياسيدى الشعر . . إنك تصغى طويلا  
إلى رجوع صوتك في فجوة الكون  
إنك تبصر ذاتك ، منقسم الذات ، في شهوة النار والماء

فوق الحرير الدمشقى ، غاصت رؤوس السلاطين  
والشعراء النبيين من قبل  
ما أشبه الكبرياء الوضيعة بالطحلب المتحجر  
في صخرة الغاب  
ما أبعد النوم عن أعين شهدت  
كيف يساقط الراقصون على ذهب العصر  
بعض الذين تفوح عفونة أيامهم  
مومياء مذهبة العظم ، ينقصها أن تتوج في القبر !

## موسيقى فوضى الأشياء



يرُوقُ للعابد أنَّ يرى انسكابَ وجهه  
في شمعة البكاء  
يروق للشاعر أن يُعلّقَ النجوم في قطيفة السماء  
يروق للمرأة أن تنشر نصف شعرها في الشمس  
والنصف على أريكة المساء  
يروق للقطعة أن تمارس التثاؤب الجميل  
والتحديق في مدفأة الشتاء  
يروق للصوفي أن يخلع تاج العقل  
أو يلبسه في الحلم ، عندما يشاء

يروق للطاغية الإبحارُ في ذاكرة الموتى من الأحياء  
يروق للأعمى اكتشاف عبث الألوان  
في تماثل الغناء  
يروق للجاهل أن يغرس وردتين في قميصه :  
الغرور والغباء !  
يروق للقاتل أن ينصت مشدوها إلى قيثاره الدماء  
يروق لي ، أن أسأل الطفل القديم :  
- هل رأى طفلا من النور يذوب في الهواء !

## الرقم المفقود في القدس

كان المساء ، باردًا وموحشًا  
وكان أَنَّ الملكَ العبريَّ داوودَ  
أفاق من سحاب نومه . . .  
ثم رأى أَنَّ يتمشى فوق سطح القمر  
- هل تلك التي تغسل في الظلمة نور جسمها  
« بِتَشْبَعُ » المرأةُ ، ربةُ الجمال ؟  
عُنُقُ كشمَعَدَانٍ مَرْمَرِيَّ  
يتلألأ تحت سقف القدس  
ساقان كمثلي قلعةٍ عالية

جدائلٌ من ذهب ، ترقد فوق الكتفين  
أُخترتها لي - قال داوود الذي يحمل تاج الرب -  
إنى أُخترتها لي أنا وحدى . . .  
فأمض يا حَيُّ مقتولا ولا ترجع  
أو أرجع إن تشأ جُثَّة مَصلوبٍ  
على أشجار تلك الحرب  
أنت الرقم المفقود ، قبل الفقد ، هل تسمع ؟  
مُتْ ثمة أنى شئت  
إن المجد أن تمضى إثر الريح  
مقتولا . . . ولا ترجع !

طائر النورس ينفر البحر!

لغرابية وحشية في الكون . . .  
تنحدر النجوم هناك مائلة . . .  
ويتكىء الرجال المتعبون على أرائكهم هنا  
ويظل طير النورس البحرى ينفض ريشه متأرجحا  
أو ينقر الأمواج ، أو ينساب فوق الماء !

\* \* \*

كنت أخوض تحت سقوف هذا الكون  
أضرحه من الكلمات والأصوات الأسهاء  
كنت أكاد أرتجل اعترافاتي . . .

على أمم مُحَدَّبة من التقديس والإخصاء  
كان العمر يصدأ في أوانى الوقت  
أو يهوى دخانا في انهمار تحطم الأشياء  
ياشجر السماوات المغرد  
ما الذى أبقيت للشعراء ، غير كآبة الشعراء  
والفقراء والموتى ؟  
وهل لازلت تمسح في غصونك أدمع الفقراء والموتى ؟  
وماذا في جبال الشمس ؟  
منذ نفضت عن كتفيك ثلج العتمة البيضاء !



رحيل المفاجأة...

( مهداة إلى الراحل على شلش )

كعاشق أوغل في حنينه مثلك  
هل يمكننى مثلك  
أن أوصد باب الحزن من خلفى  
وأن اشعل شمس الليل بالغناء ؟

\* \* \*

حين يحط الطائر الشتوى في الموج جناحيه  
وينساب كقوس قزحى في أرتجافات الهواء  
وحين يغدو الله والإنسان والماضى  
ضبابا حجريا في عيون الشعراء

وحيثما يسكن فينا شبح الرهبة ، وانحناءة الرجاء  
وحيثما تفجؤنا أسئلة الأشياء  
وحيثما نبكي ، ثم لا نبكي  
وتعلو حولنا شواهد البكاء ،  
كعاشق مثلك  
هل أقدر أن أسقى بعض الورد في دريك ؟  
هل يمكنني أن أشعل الظلمة بالغناء

## أنشودة تحت المطر

مِنْ بعيد ، تُطِلُّ صنوبرةُ الجبل الأطلسي بزيتها  
وتلوح لعاشقها ، جَبَلًا مشمسًا من بعيد  
كأن اللقالق في الأزرق اللازوردى  
لم تبين صومعة للغياب  
ولم تتقد عطشًا في أنفعال جديد  
وكانا افترقنا ، ولم نفترق قط  
ثم التقينا ، ولم نلتق الآن  
في الجذع والغصن ، والعطر والدم  
حيث تبعثر أوجهها الروح في وطن من جليد

مطر أنت ، يا أنت ، يهطل فوقى  
أنا المطر المتحجر في صدف الكلمات  
أنا الشفق المترجرج في الغيم والصحو والكبرياء البطيء العنيد  
ربما انكفأ الواقفون على شرفات المدينة  
كى لا يروا سفر النار في ثلج هذا المساء الشتائى . . .  
في موج هذا السكون الثقيل العتيد !

هكذا جاء في الكتاب

لستَ في زرقۃ السماوات ، أو حمرة السحاب  
لستَ إلا مساحة عكستُ صورة الخراب  
أترى الآن كيف تنتقم الأرض والتراب  
كيف أصبحتَ هيكلًا عاريًا . . . ساقط الحجاب  
أترى الوهم ، كيف يلتف حبلًا على الرقاب  
والخطايا وقد غدون زوايا للإكتئاب  
أترى الخوف ، كيف يفترش الصمت والغياب

\* \* \*

ويقول الذى يقول غدًا . . . ساعة الحساب



ربما كان ناسيا ، أنه جانب الصواب  
ربما اغتاله المراءون ، من صفوة الصباح  
بالجوارى المغنيات . . . وباللهو والشراب  
ربما لم يشأ . . . ولكنه التذ واستطاب  
وينخط المنجمون ، على الرمل في اضطراب  
ويقولون : إننا رأيناه في الكتاب ا

## رقصة الجنون

وَبَعِيدًا عَنِ الْحُلُمِ  
تَسْقُطُ جَوْهَرَةُ الرُّوحِ مَطْفَأَةً  
وَيَسُودُ الظَّلَامُ  
وَبَعِيدًا عَنِ الزَّمَنِ الْمَاورِائِيِّ  
تَغْدُو الطَّوَاوِيسُ أُغْرِبَةً ،  
وَتَمُوتُ الْخَطَى فِي الزَّحَامِ  
وَبَعِيدًا عَنِ الشَّعْرِ وَاللَّهِ . .  
تَنْحَدِرُ الشَّمْسُ ذَاتُ الصَّوَاعِقِ  
مَقْرُورَةً فِي الْعِظَامِ

وكان السماء هنالك غير السماء  
ووقع الحوافر  
ينقش فوضاه ، في جبل من رخام

\* \* \*

أو تدرين ؟ يا أنت ؟  
بي من جنونك ما ليس بي  
من جنون المقادير  
تثقبني ذرة من تراب  
وتغسلني قطرة من غمام

وَأَسْأَلُ تِلْكَ الْوُجُوهُ : لِمَاذَا تَغْوِصُ اضْطِرَابَا  
وَحِينَ تَهْبُ الرِّيحُ عَلَيْهَا تَصِيرُ سَحَابَا  
وَأُصْغِي طَوِيلًا . . وَيَنْهَمِرُ الصَّمْتُ حَوْلِي . .  
وَيَخْضُرُ عُشْبُ الْكَلَامِ !

## الفهرست

5	الإهداء
7	إشارات
10	المقدمة / بقلم الدكتور محي الدين صبحي
16	لوجهك يا سيدى !
23	شيخات جبال الأطلس
31	تداعيات في زمن جورج غانم
40	صورة السماء
44	بالحب أو بالرحيل !
48	غيوم المدن الصفراء
51	لحظة ياسحاب الجمال

54	من شرفة باريزية
58	كتابات قديمة !
60	تقاسيم على المتدارك
63	زهر الكلمات
66	المتفرد بذاته
69	تداخلات
72	بين النقيضين
75	قداس أفريقي لروح الشيطان
78	لا شيء يامرج الزهور
82	الكرنفال
86	قمر للغناء
89	مونولوج داخلي
92	الرجل الذى خانوه
96	مرآة على النفق !
99	مولد أغنية
103	ايرما الطفلة والجنزالات !
106	الصورة الأخرى للشاعر

109	تجاعيد هذا المساء .....
112	رتوش على لوحة صومالية .....
115	ترنيمة ليلة رأس السنة .....
118	صورة الماضي .....
120	قوس الليل .. قوس النهار .....
124	بعض الناس ! .....
127	شعراء وسلاطين .....
130	موسيقى فوضى الأشياء .....
133	الرقم المفقود في القدس .....
136	طائر النورس ينفر البحر .....
139	رحيل المفاجأة .....
142	أنشودة تحت المطر .....
145	هكذا جاء في الكتاب .....
148	رقصة للجنون .....



رقم الإيداع ٧٦١٨ / ٩٤  
I.S.B.N 977-09 - 0221 - 7

## **مطابع الشروقة**

القاهرة، ١٦ شارع جواد حسى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤  
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

